اللغة ورمزية العرفان
في التجربة الصوفية

بن ترات جلول
قسم الفلسفة – جامعة سيدي بلعباس

إن طبيعة الثالوث الفلسفي الذي حرك تجربة الإنسان الميتافيزيقية هو انصرافه إلى التساؤل عن جوهره وماهيته ومصيره بعد الموت، لتظهر ملامح هذه التجربة من خلال ممارسته للتفلسف قصد معرفة العلل الأولى والقصوى للوجود والله والإنسان وهذا ما شكل حجر الأساس في فلسفة القدامى لاسيما الثقافات الشرقية التي اختزلت وضعية الخطاب الديني عند المصريين والهنود والصينيين والبابليين والفارسيين، ليعرف هذا الخطاب نضجه الفلسفي في الفكر اليوناني الذي عبد الطريق لميلاد فلسفة العصور الوسطى أين ظهرت معالم العقلانية الإسلامية مع الكندي والفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد، خاصة في مجال الطب والمنطق والأخلاق وعلم الكلام والتصوف، لتتعزز تجليات هذه العقلانية من خلال التجربة الروحية التي ميزت اللغة التي نهض على ضوئها المشروع الفلسفي الذي بدأ بتقويض ميتافزيقية القدامى من خلال مرحلة الشرح والترجمة والتصفية والتنقية ومرحلة الإضافة والإبداع، هذه المرحلة تمثل نقطة ولادة الفكر الفلسفي عند المسلمين الذي احتفظ بخصوصياته في علم الكلام الذي تطرق لمشكلة الجبر والاختيار، العقل والنقل خاصة موقف الفلاسفة بين الرفض والمؤيد والموفق بين الفلاسفة اليونانية والفلسفة الإسلامية، هذه المواقف كانت دافعا مباشرا لتقييد حرية النظر العقلي في الموجودات وفق ضوابط الشريعة الإسلامية وعدم إطلاق العنان للعقل في الأمور الغيبية، ومن هذا المنظور فإن جذور هذه المشكلة التاريخية قد جعلت هذه اللغة عند المسلمين أكثر انفتاحا على تلك القضايا الفكرية التي تؤسس للعلاقة الجدلية بين اللغة والتصوف، وهذا ما يميز أصالة الحقل اللغوي الذي ميز النهج الفلسفي للمعرفة الحدسية عند الغزالي، والنزعة الأخلاقية عند إخوان الصفا، والنزعة المنطقية عند ابن رشد، وبعض جوانب الفلسفة المثالية عند الفارابي، هذه الخصوصيات الفلسفية هي جزء لا يتجزأ من تلك التجربة الروحية

كما أكد بأن إيمان الشعوب برسالة الأديان هو المنطلق لإبداعاتها في دروب الحياة والارتقاء الحضاري فيقول :"إن رسالات السماء كلها في جوهرها كانت ثورات إنسانية استهدفت شرف الإنسان وسعادته"[1].

كما أن الدين هو مصدر القوة وحافز من الحوافز للدفاع عن حرية البلاد ويخص بالذكر البلدان الإسلامية عامة ومصر خاصة وهذا ما أشار إليه في قوله :" ...ولم تكن الحملة الفرنسية على مصر مع مطلع القرن 19هي التي صنعت اليقظة المصرية في ذلك الوقت، كما يقول بعض المؤرخين فان الحملة الفرنسية حين جاءت إلى مصر وجدت الأزهر يموج بتيارات جديدة تتعدى جدرانه إلى الحياة في مصر كلها، كما وجدت أن الشعب المصري يرفض الاستعمار العثماني المقنع بالخلافة والذي كان يفرض عليه دون مبرر حقيقي تصادما بين الإيمان الديني الأصيل في هذا الشعب، وبين إرادة الحياة التي ترفض الاستيلاء "[2].

إن النظرية الناصرية تعطي للدين دورا إنسانيا من خلال تقدمه وارتقائه، فضلا عن حقيقته الدائمة الخالدة، خلود المقدس المطلق وهو"الله"، كما أنها ركزت على الديانات السماوية (اليهودية-المسيحية -الإسلام)عامة والدين الإسلامي خاصة في حفاظه على الأمة الإسلامية في وجودها وفي تراثها وفي ثقافتها .

-**التيار السلفي** :وهو نزعة قومية في الفكر الاجتماعي الروسي أهم أعلامها أ.كير بيفسكي، أخيما كوف، سيتراخون، وغيرهم من السلفيين، بحيث يؤكدون على أهمية العامل الديني في تقدم وتطور الشعوب ويرون في " الأرثوذكسية منهجا دينيا -اجتماعيا وقوميا للشعب الروسي وللشعوب السلفية الأخرى "[3].

لقد حصر المفكرون أهمية الدين في التقدم والتطور متناسين أهميته في جوانب أخرى،فهو يمثل أقوى المؤثرات في تكوين الفرد والمجتمع، بحيث يقوم بتنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع على أساس العدل والمساواة، فيبين الحقوق والواجبات لتجنب الفوضى والفساد والعداوة، كما يعمل أيضا على وحدة الجماعة وتماسكها وتآلفها فيوحدها في القيم

---

[1]- مجدي حماد وآخرون .المرجع السابق .ص :389.

[2]- مجدي حماد وآخرون. المرجع السابق .ص :389.

[3]- أليكسي جورا فسكي.ترجمة :خلف محمد الجراد.الإسلام والمسيحية من التنافس والصدام إلى الحوار والتفاهم .سورية .دمشق. دار الفكر .2000.ص :110.

والمبادئ والأفكار والأهداف، وأيضا يدعو الأفراد للتحلي بالقيم الحميدة كالمحبة والرأفة والرحمة والتعاون، ...،وفي هذا السياق فهو يدعو(الدين) للسلام والإخاء ونبذ العنف والعداء.

2-2-2 الدين مصدر السلام :

بالرغم من تعدد وتنوع الأديان إلا أنها تعتبر أعظم مصدر للسلام .وسنخص بالذكر الديانات التوحيدية الثلاث :اليهودية –المسيحية – الإسلام، فهي ديانة منزلة من عند الله 'ديانة سماوية' فلا يمكنها أن تحرض على القتل والعنف والذبح والعداوة، ...وإنما تدعو إلى السلام والإخاء والوئام من أجل سعادة الإنسان أي تدعو لإقامة مجتمع سلمي .سلام، ليس داخل المجتمع فقط بل يتعداه أي سلام مع المجتمعات الأخرى ذات الديانات واللغات المختلفة.

فالدين دين سلام وهذه الكلمة نجدها تتكرر في كتبه المقدسة، فقد ورد في **القرآن الكريم** وهو دستور المسلمين كدين سلام في سورة البقرة آية 208" يا أيها الذين آمنوا أدخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين "[1] صدق الله العظيم .

وكذلك في **الإنجيل** وهو دستور المسيحيين نجده دين سلام، ففي إنجيل يوحنا 14 "سلامي أترك لكم سلامي أعطيكم "[2]

وقد ورد في إنجيل لوقا 2" المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسيرة "[3].

بالإضافة إلى ذلك نجد أن التحية في الإسلام تتضمن كلمة سلام تحت شعار :" السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ".

فالدين في أصله واحد، بحيث كل دين يدعو إلى السلام واللاعنف .أما فيما يخص الحروب الدينية فهدفها الدفاع عن العقيدة الدينية من الأعداء والملحدين، وبالنسبة لاختلاف وتنوع المذاهب والفرق فهي نتيجة لاختلاف العقول ودرجات الإيمان، وأما الذين يعتبرون الدين دين عنف، ويرون أنه يدعوا إلى العنف فهذا لأنه امتد إلى يد عابثة من البشر قامت بتحريف كلام الله من أجل تحقيق مصلحتها الذاتية أي الوصول إلى السلطة والحكم.

---

[1]– القرآن الكريم .

[2]– خالد محمد الزواوي .سماحة الأديان والسلام العالمي .الإسكندرية .دار الوفاء .2004.ص :161.

[3]– خالد محمد الزواوي .المرجع السابق .ص :161.

24أغسطس 1572 وقد بلغ ضحاياها نحو 10.000ضحية وكان الهدف منها تطهير المجتمع من الهرطقة والزندقة"[1].

وقد شهد المسلمون سلسلة من الحروب والصراعات الدموية بين الفرق وبين الديانات الأخرى كالمسيحية واليهودية، ومن بين الفرق التي اشتهرت بالعنف المسلح هي فرقة الخوارج والقرامطة والحشاشون .

لم يساهم العنف الديني في إراقة الدماء وقتل الأرواح فقط بل ساهم أيضا في محاربة الفكر وقتل روح الإبداع وذلك من خلال سجن وقتل ونفي المفكرين والعلماء نذكر على سبيل المثال سجن أحمد بن حنبل الذي أنكر خلق القرآن ونفي ابن رشد وذبح الجعد بن درهم وغيرهم من ضحايا الفكر والرأي .

"وقد أحرقت الكنيسة الكاثوليكية جوردانو برونوBruno Giordano بروما في 17فيفري 1600م لأنه دعا لنظرية كوبرنيك (1473-1543)، ودعوته للسيطرة على الطبيعة عن طريق العلم وبهذا اتهمته بالزندقة والردة والطعن في العقيدة المسيحية "[2].

ضحية أخرى شهيرة من ضحايا الرأي مورست ضده أشكال من العنف المعنوي هو جاليليو جليلي "الذي دافع عن فكرة دوران الأرض حول الشمس بحيث لقي عتابا شديدا من محاكم التفتيش التي اتهمته بالكفر وحكمت عليه بالسجن المؤبد"[3]. وغيرها من جرائم الفكر والرأي التي نجدها في أوربا إبان العصور الوسطى .

ما يمكن استخلاصه أن تاريخ الأديان التوحيدية يتصف بالعنف والوحشية ويظهر هذا من خلال الحروب الدينية وفي هذا الصدد يقول بيار مايكل (pierre Miquel) " ليست حرب الأديان أهلية كحرب قوم الأرمانياك والبورغون، إنها حرب بلا رحمة، فهي تثير الإنسان على الإنسان وغايتها ليست الهيمنة على الخصم بل تدميره وتحويله إلى رماد كما يفعل مفتشوا المحاكم "[4].

---

[1]-جورج قرم .ترجمة:خليل أحمد خليل .المسألة الدينية في القرن الواحد والعشرين .لبنان .بيروت.دار الفارابي .الطبعة الأولى .2007.ص: 177- 205.

[2]-ماجد موريس إبراهيم .الإرهاب...الظاهرة وأبعادها النفسية .الجزائر .دار الفارابي.2008 .ص:46.

[3]-نفس المرجع السابق .ص:47.

[4]-جورج قرم .المرجع السابق .ص:192.

وأيضا من خلال إعدام ونفي وحرق المفكرين والعلماء وبالتالي قتل روح الإبداع والتطور العلمي والفني والأدبي .ولكن رغم كل ذلك نجد أوربا في العصور الوسطى قامت بعدة مصالحات وتوفيقات بين المذاهب والأديان الأخرى فنجد مثلا في "مؤتمر بواسي حاولت التوفيق بين البروتستانت والكاثوليك عام 1561".

2-2 التيار الديني:لا ينكر أحدا أن القيم الدينية تشكل محورا أساسيا في حياة الأفراد،وأن المساس بتلك القيم يعد خرقا لأهم مقدساته، والتي تعد المصدر الأساسي للدستور والشريعة، فانتهاك المقدسات الدينية يشكل مساسا بأهم الدعامات التي يقام عليها بنيان هذه الدول، ولهذا يجب علينا التصدي لجميع صور الإساءة والرفض للأديان وخاصة تلك الاتهامات والآراء التي تنسب إليه ظاهرة العنف. فالهدف من هذا هو الدفاع عن الدين والحفاظ على مبادئه وقيمه السامية .

2-2-1 أهمية الدين

مما لا شك فيه أن للدين أهمية عظمى في حياة الأفراد،فهو يضع معايير الخير والشر ويحدد الحلال والحرام وفي هذا المعنى يعتبر أداة للضبط الاجتماعي وكذلك يعتبر وسيلة من وسائل "الاندماج الاجتماعي"[1].
وعليه يعتبر الدين ضرورة اجتماعية وهذا ما أشار إليه الباحثين والمفكرين أمثال هيجل، كير بيفسكي أخيما كوف، عبد الناصر،...الخ.

-**النظرية الناصرية** :يرى عبد الناصر أن الدين لا يعتبر آلة في متحف التاريخ وقد انتهى دورها حسب تعبير انجليز،بل إن هذه الآلة كانت ومازالت تلعب دورا رئيسيا ومهما في التقدم والفلاح والصلاح.وأنه عنصر مهم للإنسان في حصوله على حق الحياة والحرية "إن الإنسان يحصل على حقه في الحياة والحرية بأمر من الدين "[2] .

---

[1] -jacqueline lagree.la religion .paris .Armand colin .2006.p .19.

[2]-مجدي حماد وآخرون .الحركات الإسلامية والديمقراطية – دراسات في الفكر والممارسة – .لبنان .بيروت. مركز دراسات الوحدة العربية .الطبعة الأولى .1999.ص :389.

2-1-2 أسباب رفض الدين

إن تبني الباحثين والمفكرين موقف ما سواء كان بالإيجاب أو بالسلب، بالقبول أو بالرفض، إلا ويكون له خلفية أي أسباب ودوافع، ومن بين العوامل والأسباب التي أدت بالباحثين برفض الدين ونبذ الفكر الغيبي والمناداة بإلغائه من الوجود أي من حياة الأفراد هي كالآتي :

-**الأساطير التي تشوه صورة الآلهة**:ونخص بالذكر تلك الأساطير الإغريقية التي كانت تصور الآلهة في حالة صراع دائم مع بعضها البعض ومع البشر أيضا مما ينعكس سلبا على البشر مثال أسطورة بروميثوس وأسطورة سيزيف وهذه الأخيرة تشير إلى انتقام الآلهة من البشر فسيزيف"ارتكب خطيئة فعاقبته الآلهة بحمل صخرة كبيرة من قاع الجبل حتى يصل بها إلى القمة ثم تعيد الآلهة الحجر إلى قاع الجبل فيعيد سيزيف حملها وهكذا من دورة أبدية من العذاب والانتقام الرهيب"[1] .

فالأسطورة تعكس بؤس الإنسان وقدره المحتوم في مواجهة الآلهة هذا من جهة ومن جهة أخرى فهي تعكس عدم شفقة الآلهة بالبشر وعدم اتسامها بأهم الصفات الأخلاقية كالتسامح والرأفة والرحمة، ...فهي تتصف بالعدوانية والعنف وعدم الشفقة .

-**سيطرة الكنيسة على الحياة الاجتماعية**:لقد سيطرت الكنيسة في العصور الوسطى على كافة شؤون الحياة الاجتماعية مما نجم عنه صراع رهيب بينها (الكنيسة) وبين شعوب أوربا،بحيث كانت قوة اجتماعية مدمرة قامعة مستغلة للناس اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وثقافيا.وقد مارست الكنيسة استغلالها للناس تحت شعار الدين وفي ظل نظريات التفويض الإلهي، وآراء القديس" أوغسطين" و"توما الاكويني"،وبيع صكوك الغفران، فكافة المآسي التي ارتكبت في أوربا كانت باسم الدين، بالإضافة إلى هذا عملت الكنيسة على الانتقام من المفكرين سواء بالإعدام أو الحرق بدعوى الهرطقة والكفر ومثال على هذا إعدام" جاليليو" وحرق" برونو"وغيرهم من العلماء والمفكرين الذين كشفوا حقيقة وزيف معتقدات الكنيسة .

---

[1]-نبيل محمد توفيق السمالوطي .الإسلام وقضايا علم النفس الحديث .المملكة العربية السعودية .دار الشروق للنشر والتوزيع. الطبعة الثانية .1984.ص :53.

باختصار تعتبر الكنيسة قوة استعمارية مدمرة، بحيث استخدمت كل أساليب العنف من قتل وإعدام واستغلال باسم الدين لتبرئة نفسها وبلوغ هدفها .

-الحروب الدينية: ما هو معروف أنه لا يخلو أي دين من الحروب.أي أن كل المجتمعات شهدت حروب دينية بهدف الدفاع والحفاظ على عقيدتها ومحاولة نشرها في المجتمعات الأخرى،وقد تميزت هذه الحروب بالعنف والعدوانية بحيث استخدمت فيها كل الوسائل والأساليب البشعة ومن بين هذه الحروب نذكر الحروب الصليبية التي كانت بين المسلمين والمسيحيين،وبين الإغريق والفرس "حرب ماراتون 460ق.م". وكذلك الحروب الدينية في القارة الأوربية بين مختلف القوى الكاثوليكية والبروتستانتية، وبين الأنغاليكانيين والبرسبيتريين .

وخلاصة القول: أن موقف المفكرين من الدين يمكن إرجاعه إلى التراث الأوربي الذي يمتد من الحضارة الإغريقية القديمة إلى ثقافة العصور الوسطى وسيطرة الكنيسة على الأوضاع الاجتماعية، وكذلك إلى الحروب الدينية التي عرفتها المجتمعات منذ نشأتها التي أريقت فيها الدماء وقتلت فيها الأرواح تحت راية الدين وباسم الدفاع عن المقدسات، وقد تكون الأسباب الحقيقية من مآرب سياسية وأطماع توسعية ورغبة في بسط النفوذ .

2-1-3 الديانات التوحيدية كنموذج للعنف الديني

يعود تاريخ علاقة الدين بالعنف منذ وجود الإنسان على وجه الأرض لأن الدين أستخدم كوسيلة للوصول إلى الأهداف،وفي هذا المعنى كانت الحروب جزءا من تراث الأديان، حيث كان الأفراد يشنون الحرب ضد العدو باسم الدين من أجل الدفاع عن العقيدة الدينية، فلجئوا إلى استعمال كل أساليب العنف " القتل،التعذيب،النهب" ومن بين تلك الحروب نذكر الحروب التي شهدتها "أوربا بين مختلف القوى الكاثوليكية والبروتستانتية والتي دامت لمدة ثلاثين سنة 1618-1648 فخلال هذه الفترة شهدت فرنسا مذبحة سان بارتيليمي الشهيرة يوم

2-1-1 نقد الدين

لقد قام العديد من الباحثين والمفكرين من مختلف التخصصات بنقد الدين أو بالأحرى إلى رفضه باعتباره معارض للطبيعة الإنسانية، بحيث يمثل عائق لانطلاق وتقدم الإنسان وقامع لرغباته وقاض على آماله، ومن بين هؤلاء المفكرين نذكر كارل ماركس وانجليز وفيور باخ وبيار بايل .

نظرية فيور باخ : يعتبر فيور باخ من بين الفلاسفة الذين قاموا بنقد الدين، وتتمحور أفكاره فيما يلي :

-قدرة الإنسان على الوعي بجوهره الإنساني وعيا كونيا وغير محدود.

-إن الجوهر الإنساني هو أساس الدين وموضوعه في نفس الوقت .

ولكن وعي الإنسان بذاته يؤدي به أيضا لانشطاره إلى نصفين :"هو" من جهة ومن جهة ثانية جوهره الذي انفصل عنه وظهر له وكأنه كائن آخر أسمى منه وأقوى وأكمل هو الله، فأخذ يتأمله ويعبده، وهنا نكون في صدد الحديث عن مفهوم "**الاستلاب الديني**" عند فيور باخ الذي شرحه في قوله :" إن الدين،على الأقل الدين المسيحي، هو العلاقة بين الإنسان وذاته أو بدقة أكثر بينه وبين جوهره الذي يظهر وكأنه كائن آخر هو الكائن الإلهي،أو بالأحرى الكائن الإنساني وقد تخلص من محدودية الإنسان الفرد، أي إنسان الواقع والجسد، ثم تموضع خارجه فتأمله وعبده باعتبار كائنا قائما بذاته مختلفا عنه"[1] .

ففي نظر فيور باخ أن تحرير الإنسان من هذا الاستلاب الديني يكون من خلال إلغاء الدين .

ومما سبق ذكره، يتضح لنا أن فيور باخ ينفي فكرة الألوهية من أصله، و أن وجود فكرة الألوهية عند الإنسان هي من نسج خياله فقط سواء بالشعور أو الوعي أي أن الإنسان هو أصل الإله، وهذا يشير إلى أن فيور باخ ينتمي إلى المدرسة المادية التي تفسر الأشياء باللجوء إلى الجوهر والتي تعتبر الإنسان جزء من المادة .

كما نجد أيضا أن فيور باخ ينتمي إلى فئة الملحدين الذين لا يؤمنون بالإله وفي هذا الإطار نجد الفيلسوف الفرنسي بيار بايل" ينادي

---

[1]-مصطفى التواتي .التعبير الديني عن الصراع الاجتماعي في الإسلام .لبنان .بيروت. دار الفارابي .الطبعة الثانية .2003.ص :23

بضرورة إقامة مجتمع ملحد"[1]. ففي نظره أن الإنسان لا ينحط بالإلحاد وإنما ينحط بالخرافة والوثنية .

النظرية الماركسية :يرى ماركس أن للدين جوانب سلبية لأنه يعتبر كقوة التعويض الوهمي التي يوفرها للإنسان والتي تمنعه من العمل على تغيير واقعه البائس والنضال للخروج من "وادي الدموع" إضافة إلى ذلك فهو يرى أن الدين يمكن استعماله سياسيا من طرف الفئات الاستغلالية لخدمة مصالحهم بخلق نوع من العبودية لدى الطبقات المضطهدة وهذه الأخيرة يمكن أن تستخدم الدين كاحتجاج على وضعها البائس، وبناءا على هذا ذكر ماركس مقولته المشهورة " **الدين أفيون الشعوب**" .

إذن :الدين عند ماركس يعتبر عنصر احتجاج تلجأ إليه الطبقة القوية والطبقة الضعيفة، وعنصر استغلال تستخدمه الطبقة الحاكمة فقط لتحقيق مصالحها الذاتية وذلك باستخدام القوة والسيطرة والعنف لبسط نفوذها .و لهذا فهو يرى أن إلغاء الدين هو من أجل محاربة بؤس المجتمع ذاته لا أكثر ولا أقل وقد أشار إلى ذلك في أحد نصوصه بقوله :"إن إلغاء الدين،من حيث هو سعادة وهيمنة للشعب، هو ما يتطلبه صنع سعادته الفعلية.أن تطلب تخلي الشعب عن الوهم هو أن تطلب التخلي عن وضع بحاجة إلى وهم .فنقد الدين هو بداية نقد وادي الدموع الذي يؤلف الدين لهالته العليا..."[2].

إن الرؤية السلبية والعدائية للدين من طرف المفكرين "ماركس وفيور باخ وبيار بايل" لا تنفي أهميته داخل المجتمع، فهو يعتبر ضرورة اجتماعية وفي هذا المعنى يقول **د.ويلسون الرئيس السابق للو.م.أ:**" وخلاصة المسألة أن حضارتنا إن لم تنفذ بالمعنويات فلن تستطيع المثابرة على البقاء بماديتها،وأنها لا يمكن أن تنجو إلا إذا سرى الروح الديني في جميع مسامها، ...ذلك هو الأمر الذي يجب أن تتنافس عليه معابدنا ومنظمتنا السياسية أو أصحاب رؤوس أموالنا، وكل فرد خائف من الله محب لبلده"[3].

إذن: مادام للدين طابع ايجابي فما هو الدافع الذي أدى بالمفكرين إلى رفضه والمناداة بإلغائه من الحياة الاجتماعية ؟

---

[1]–نفس المرجع السابق .ص: 21.

[2]–مصطفى التواتي. المرجع السابق .ص :31.

[3]––وراز محمد عبد الله .الدين– بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان .الكويت .دار القلم .الطبعة الثانية .1970.ص: 98.

-ونظرا لتعدد وتنوع التعاريف النظرية للمفاهيم سنعتمد على التعاريف الملائمة والمناسبة للبحث .

1-1 الدين :يعرف إميل دوركايم الدين على أنه :" نظام يتكون من المعتقدات والممارسات التي تكون لها علاقة بالأشياء المقدسة، وهي معتقدات وممارسات تجمع في نظام أخلاقي واحد كل الذين ينتمون إليه"[1]

ومنه فالدين هو منظومة أو نسق مترابط من العقائد والممارسات التي تتميز بكونها مقدسة وهي في موضع متميز ومنفصل عن سائر الأشياء لأنها موضع خشية ورهبة، حيث تقوم هذه المنظومة الدينية بالجمع بين أفراد المجتمع الواحد في قيم أخلاقية مشتركة، ومن بين هذه القيم هي المناداة بالتسامح والتآخي والسلام ونبذ العنف، ...الخ .

1-2 العنف :يعرف ساندرا بول روكيخ العنف بأنه : "الاستخدام الغير الشرعي للقوة أو التهديد باستخدامها لإلحاق الأذى والضرر بالآخرين"[2].

فالعنف في الواقع الاجتماعي قد يكون استخداما فعليا للقوة أو تهديدا باستخدامها، كما يمكن أن نصنف العنف إلى نوعين :"عنف فردي" ونقصد به كافة أشكال العنف التي يقوم بها الأفراد و" عنف جماعي " الذي يقوم به جماعات معينة في المجتمع بسبب الصراع الطائفي أو الطبقي أو الديني أو لأسباب اجتماعية أخرى، زيادة عن كل هذا يوجد "عنف شرعي" الذي تمارسه الحكومة على الأفراد مثلا كإيقاف المظاهرات والانقلابات والإضرابات و"عنف غير شرعي" الذي يمارسه الأفراد على بعضهم البعض .

3-الدين بين العنف واللاعنف

سيتضمن هذا العنصر تأملات تمهيدية حول الفكر الديني والفكر العلماني، بطرح أهم أرائهما لتأكيد أو لنفي علاقة الدين بالعنف .

1-2 التيار العلماني

يندرج هذا التيار ضمن تيار الحداثة وهو شعاع منبعث من الثقافة الأوروبية الذي أنار طريقها بحيث يساهم في تطور البنية الاجتماعية

---

[1] -Cipriani Roberto .manuel de sociologie de la religion .France harmattan.2004.p 12.

[2] -حسن توفيق إبراهيم .ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية .لبنان .مركز دراسات الوحدة العربية .الطبعة الأولى .1992. ص :43.

والثقافية لأوربا، وبمعنى آخر فالحداثة آخر صرخة تقدمية تطورية عرفتها أوربا بعد عصر النهضة وعصر الأنوار. ومن أهم العناصر أو المبادئ التي تتضمنها الحداثة هي :

-تفضيل العلم على الدين أي تمجيد العقل .

-المناداة بفصل الدين عن الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية، ...الخ .

وهنا نكون في صدد الحديث عن العلمانية وهي كلمة قديمة استخدمت في القانون الروماني بمعنى : " عالم الإنسان العادي "[1]، أي الإنسان الغير الديني ونقصد به الإنسان الذي لا يرجع أو يستخدم المبادئ الدينية في حياته الاجتماعية سواء إن تعلق الأمر بالسياسة أو الاقتصاد أو الثقافة أو العلم أو في أي مجال آخر .

ونجد بيرجر يعرف العلمانية بأنها : "العملية التي تمت بها إزاحة قطاعات من المجتمع والثقافة عن السيادة العائدة للمؤسسات الدينية والرمزية "[2].

إذن: العلمانية هي تيار يحرر الإنسان من الوصاية الدينية في مختلف الميادين الاجتماعية والسياسية، ... فمثلا أوربا قامت بفصل الدولة عن الكنيسة، ونزع ملكية الأراضي، وفصل التعليم عن السلطة الدينية، زيادة عن ذلك عدم المبالاة في دراسة الدين وهذا ما أشار إليه محمد أركون في كتابه "**الدين والعلمنة**" " أن العلمنة في فرنسا وخصوصا فيما يتعلق بنظام التعليم، يشكل نوعا من اللامبالاة الفكرية تجاه البعد الديني للإنسان والمجتمعات "[3].

أما في الجانب الثقافي تتجلى في انهيار المحتوى الديني من الفنون والآداب والفلسفة وتفسير الظواهر سواء الإنسانية منها أو الطبيعية تفسير علميا أي علمنة الفكر والوعي .

وخلاصة القول أن الموقف العلماني يتميز بإحداث القطيعة الجذرية مع كل ما يرتبط بالموقف الديني ويتحكم به، بحيث لا يعطي أهمية للدين في حياة الإنسان وكذلك يعتبره دين عنف وتسلط، ولكن ما هو السبب لاتخاذ التيار العلماني هذا الموقف تجاه الدين ؟.

---

[1]-عبد الهادي عبد الرحمان .عرش المقدس -الدين في الثقافة والثقافة في الدين .بيروت .دار الطليعة للطباعة والنشر .الطبعة الأولى .2000. ص : 27.

[2]-نفس المرجع السابق. ص :28.

[3]-محمد أركون .ترجمة : هاشم صالح .العلمنة والدين - الإسلام -المسيحية - الغرب .لبنان .بيروت .دار الساقي .الطبعة الثالثة .1996.ص :69.

التيارات السوسيولوجية لعلاقة الدين بالعنف
:الديانات التوحيدية نموذجا

لغرس سوهيلة
كلية الآداب واللغات
والعلوم الاجتماعية والإنسانية
جامعة معسكر

ملخص :
سنتطرق في هذا المقال المتواضع لظاهرتين وهما "الدين "و" العنف "الذي عرفهما الإنسان منذ أن وجد في هذه الحياة.وما يلفت الانتباه أنهما ظاهرتان متناقضتان تماما، فالدين هو مطلب اجتماعي في حين نجد العنف منبوذا اجتماعيا، ونظرا لهذا التناقض الاجتماعي والأخلاقي للظاهرتين أدى بالباحثين إلى الانقسام إلى فرقتين أو بالأحرى إلى تيارين :

1) **التيار العلماني** :و الذي يرى أن العنف مرتبط بالدين وأن الدين في حد ذاته يتسم بالعنف والسيطرة والاضطهاد والاستغلال ويتجلى ذلك من خلال الحروب الدينية وقتل روح الإبداع والرأي والفكر الذي يمارسه رجال الدين على العلماء والمفكرين، وعليه يقترح رواد هذا التيار فصل الدين عن الأنظمة الاجتماعية الأخرى كفصله عن المجال السياسي والمجال التعليمي والمجال الاقتصادي، ... الخ.

2)**التيار الديني** :يشير أصحاب هذا التيار إلى أهمية الدين في الحياة الاجتماعية، فهو وسيلة للضبط الاجتماعي كما أنه أيضا وسيلة للاندماج الاجتماعي، وأن الحروب الدينية ما هي إلا وسيلة للدفاع عن العقيدة الدينية وحمايتها من الأعداء والملحدين، وأن تنوع المذاهب والفرق الدينية هو نتيجة لاختلاف العقول ودرجات الإيمان، أما فيما يخص الذين يعتبرون أو يرون أن الدين دين عنف أو يدعوا إلى العنف هذا لأنه (الدين) امتد إلى يد هدفها تحقيق مصالحها الذاتية أي استعمال الدين للوصول إلى السلطة والحكم وبالتالي تشويه الهدف الحقيقي للدين الذي يتمثل في الدعوة إلى السلام والإخاء والمحبة، وبعبارة أخرى الدين هو مصدر السلام .

الكلمات المفتاحية :الدين – العنف – العنف الديني – الحروب الدينية – الديانات التوحيدية – التيار العلماني – التيار الديني.

مقدمة :

عرف الإنسان " الدين "و"العنف" منذ أن دب على وجه الأرض .بحيث يعتبران من الظواهر الاجتماعية البارزة والمعروفة عند كل المجتمعات ولكن بدرجات متفاوتة،و بصورة وأشكال متعددة ولأسباب متداخلة ومتنوعة، تختلف باختلاف المجتمعات والثقافات والمراحل التاريخية .زيادة عن ذلك فهما يختلفان في الأهمية وفي درجة القبول والرفض، إذ يعتبر الدين ضرورة اجتماعية في مقابل العنف الذي يتوجب علينا تخطيه أو التخفيف من حدته، فالأول يؤدي إلى الرباط الاجتماعي، أما الثاني (العنف) فيؤدي إلى الفساد والفوضى وتفكك الروابط الاجتماعية .

و في هذا الإطار يتولد في ذهننا الغموض والالتباس وحتى التناقض فيما نعرفه، فنحن نعلم أن الدين يرفض العنف، و أنه عبارة عن نظام، في حين نجد العنف يهدد هذا النظام فهو يعتبر مشكلة اجتماعية تعاني منها كل المجتمعات فهذا الموقف يؤدي بنا إلى طرح عدة تساؤلات :ما علاقة الدين بالعنف؟ وهل الدين يحمل في طياته العنف أي أنه لا يخلوا أبدا من العنف؟ وان كان الدين يتسم بطابع العنف هل هذا ينفي عنه صفة اللاعنف؟ وهل هذا العنف يعود للدين في حد ذاته أم إلى معتنقيه؟ وما هو الدافع الذي يؤدي بالأديان للمناداة بالعنف، هل من أجل بقائها واستمرارها داخل المجتمع أو لسبب أو دافع آخر؟

نحن في مأزق:إذن للإجابة على كل هذه التساؤلات يتطلب منا الأمر بلورة الإجابة في العناصر التالية :

1-المجال المفاهيمي :تعد مشكلة التعريف بالمفاهيم وتحديدها من المشكلات الأساسية في التحليل ونخص بالذكر في التحليل الاجتماعي، إذ تتعدد وتتداخل التعريفات للمفهوم الواحد الأمر الذي يخلق لنا الاضطراب واللبس عند استعمال هذه المفاهيم .ويرجع عدم اتفاق الباحثين والمفكرين في تحديد تعريف واحد للمفهوم للأسباب التالية :

-أن الظواهر الاجتماعية تكون متعددة المتغيرات، كما أنها تعكس خبرات ومعاني الأفراد والجماعات التي تختلف من مجتمع لآخر ومن زمن لآخر .

-تعكس التعاريف تخصص ووجهة نظر الباحثين .